كلمة اتحاد الكتّاب العرب

ألقاها الأستاذ الدكتور حسين جمعة

متى يكون العظيم عظيماً؟!

إلى سليمان العيسى

يتساءل كثير من الناس: متى يكون العظيم عظيمًا؟! هل يكون عظيمًا إذا كان مالكًا لصفة النقاء والصفاء والبراءة والصدق والمحبة... وكره الغش والنفاق والكذب والرياء... وابتعد عن الحقد والكراهية وإثارة الشحناء والبغضاء،وشعر بالألم من الذين تشبعوا بالأنانية وحب الذات؟!!

هل يكون عظيمًا إذا امتلك الإرادة الفولاذية الحرة وثابر بجدٍّ وإخلاص على التنمية المعرفية، وسار على طريق الأفذاذ من الأجداد وأحرار العالم؟ هل يكون عظيمًا إذا تحلّى بوهج الانتماء إلى وطنه وهُوِيته العربية، وحافظ على حريتها وكرامة أبنائها وسيادة ترابها، وقَدَّس الدفاع عنها؟

هل يكون عظيماً إذا اختط للأجيال القادمة درب المستقبل الواعد واثقًا بقدرة أمته على تخطي النكبات والمصائب؛ وتجاوز التفرقة والتجزئة؟

هل يكون عظيمًا إذا زرع في كل قارئ لإبداعه ومواقفه حلم العروبة السامي المعطَّر بأريج الزهر الندي وقد امتص كل أطياف أشعة الشمس؟.

نعم إن كل من آمن بذلك واتصف به؛ وجعله خبزه الذي يحيا فيه وقربه إلى الأجيال بلغة حلوة تفيض بالشحن الدافئ يكون كذلك؛ وذلك ما كان من شاعر العربية الأكبر في العصر الحديث سليمان العيسى الذي نقف – اليوم – في محراب بهاء ذكراه.

فيا ابن النعيرية؛ وأنطاكية وإسكندرونة... يا ابن سورية العربية... يا ابن العروبة وشاعرها... يا صديق الأصدقاء، وسنديانة الأُخُوَّة والصفاء... يا صاحب الروح العذبة والقلب المندى ببياض الثلج؛ والعمل المجبول بالإبداع والعطاء...يا فارس الكلمة التي تتغلغل في وجداننا نشيدًا عبقًا بالمجد والإباء، وأنت صاحب الرسالة التربوية القومية؛ التي تجلت بصماتٍ واضحةً في حياتنا.

ماذا نقول فيك اليوم وقد غاب شخصك عنا في أوقات نحتاج فيها إليك وإلى أمثالك؟

هل نقول فيك: إنك حاضر في خلجات الحنين واللهفة إلى نسغ العروبة التي استظلت بحلمك الوهَّاج، ولَوَّنْتَها بروح الوفاء؛ ومنحتها النبض الحي الصادق وجعلتها منهجًا ساطعًا للتخلص من أردان التجزئة والتفرقة والعبث؟! وكيف تقرأ الأجيال رغبتك الأصلية في التوجه إلى المهد الذي نشأ فيه قحطان، أم إلى لبنان والعراق وليبيا وتونس والجزائر التي تألقت بعبق الحرية والكرامة انتماءً ودفاعاً عن القيم الوطنية والقومية الراقية؟!.

ماذا نقول في أناشيدك الوطنية التي تفيض بعبق التاريخ النضالي الوطني؛ وصفاء القيم الخالدة؛ أو في أغنياتك لأطفال العروبة بوصفهم المادة الأنقى والأطهر وأنت القائل:

لأجل الناس من حولي
لأجل الناس غنيت
ليضحك بيدر في الصيف
طول الصيف صلّيت؟!!
أيها الحاضر في أرواحنا وحياتنا!!

يا من أبحرت في لجج الإبداع فكنت الربان الماهر الذي يقود سفينة الشعر إلى مراسيها المطمئنة والبهية... فقد كتبت للطفل والمرأة والثوار المناضلين؛ والجنود الميامين... وللفلاح والعامل... كتبت لثورة الأحرار في الجزائر واليمن والعراق... فأدركت ما لم يدركه الآخرون... قطعت المسافات والأميال لتشكل في وجداننا وعقولنا أجمل المعاني للسير في طريق الأجداد والحفاظ على قيم الحب والخير والجمال...جعلت الوطن أنشودة زاهية بالعطاء والألوان، وأردته روحًا تضج بالحيوية والتجدد.. فكنت الطفل والأرض والهوية... فصرت المنارة للأجيال يسترجعون عند كل قصيدة وموقف جدائل جميلة للوجود العربي الحر الذي ضَفَرَتْهُ يداك وصاغته عبقريتك الممدودة إلى الطهارة بحبل متين... عرفوك الزاهد العازف عما يرغب فيه الآخرون ويتهافتون عليه تهافت الفراش على النار... لقد خضت – حقًّا – معارك الشرف ببطولة الحرف الذي ترسله نورًا يحرق العبث والانحراف والكذب والادعاء، خضت معارك الشرف بتجليات الشعر العربي الأصيل الذي يحرر الأمة من شرنقة الهزيمة التي عصفت بها منذ نكبة (١٩٤٨م) وتعمقت في نكسة (١٩٦٧م).. فتجاوزت اللحظات الحرجة في حياتها؛ وطفقت تهتف في ذاكرة الأجيال: أن سجّلوا في دفاتركم ووجدانكم وعقولكم أن الأمة التي أنجبت عمرَ وخالدًا وعليًّا وطارقَ بن زياد.. لن تغيب عنها شمس الحياة، وستخوض معركتها بروح الإباء لمعانقة المجد والفخار...

أبا معن، أيها الحاضر فينا أبدًا؛ بعثًا وعروبة؛ فكرًا واتحادًا، معلمًا ومربيّا، مبدعًا وهاديًا وستظل تعزز في نفس كل واحد منا الثقة بالذات والأمل بالغد القادم، وتزرع فيها حس المبادرة والطموح؛ وتحثها على التحلي بالوعي والإرادة والصبر... كنت القدوة لنا قولاً وفعلاً يوم سرت على درب الأوفياء وأسست مع أقرانك اتحاد الكتاب العرب في (٤/ ٢/ ١٩٦٩) بعد أن شاركت في لجنته التحضيرية؛ على أسس راقية من المبادئ

الوطنية والقومية؛ ووفّرت لكل أديب وكاتب مناخ الإبداع الحق منذ أن صرت عضوًا في أول مكتب تنفيذي له...

وها نحن اليوم نعاهدك على صون الأمانة...ونحمل حلمك الأبهى لبناء مستقبل الأمة العربية، من دون أن تستفزنا نوبات الثقافة العارضة؛ والناسخة؛ والتابعة...

ونرجو الله أن ينزل شآبيب رحمته على جسدك الطاهر؛ وأن يتقبَّل عطاءاتك بالرضا والقبول... وأن يلهم ذويك الصبر والسلوان.